سرد

## قبل أن تتحوّل الجزيرة إلى مجتمع استهلاكي آخر

# حلم الوصول إلى هافانا

أريد أن أكتب عن كوبا برائحة ونكهة تشي غيفارا ورفيقه كاسترو... كاسترو الذي امتدت به الحياة إلى أرذل العمر كما تقول العرب ومحافظ على حلمه، لأن من يخون أحلامه ينكسر من الداخل ويسرع إليه الموت البيولوجي. أريد أن أكتب عن كوبا ذات الألوان الحارّة والموسيقى الصاخبة

خالد النجار

«سأذهب إلى سانتياغو كوبا في عربة من الماء الأسود»

(لوركا)

... وقلتُ لا بدّ من الذهاب إلى كوبا قبل أن تتحوّل إلى دولة نمطية كبقية دول المحيط الراسمالي بديكور غربي وبذات أساليب التحكّم القديمة والفقر القديم. اليوم هناك سفارة أميركية وأشياء كثيرة تتحوّل على عجل في الجزيرة. في هذه اللحظة التي صار فيها التاريخ يسير بسرعة ضوئية، حتى إننا لم نعد ندرك تحوّلات التاريخ، فما إن نحاول استطلاع واقع ما، وقبل أن نعيه بالكامل، يكون قد انسحب إلى ظلمة الماضي، وتلقي أنفسنا أمام واقع آخر علينا قراءته، وهكذا.

إذا كان سقوط الإمبراطورية الرومانية قد استغرق ثلاثة قرون حسب المؤرخ الإنكليزي العتيد إدوارد جيبون Gibbon، والإمبراطورية العثمانية استمر تدهورها مائة سنة من يوم ما أطلقوا عليها تسمية «الرجل المريض»، والرجل لم يكن مريضاً، فإنّ الاتحاد السوفييتي سقط في أقل من عشر سنوات.

قلتُ لا بد من الذهاب على عجل إلى كوبا ليس مثل لوركا في عربة من الماء الأسود حالماً بعلب التبغ التي عليها صور روميو وجولييت، بسعف النخل الذي يطير في الهواء كالقلق، وبقناديل البحر وبرأس فرنشيسكا الأشقر... بل في طائرة تحط بي في الجزيرة، لأرى وأعايش وأكتب عن كوبا ذات الألوان الحارّة وعن الحياة الشيوعية اليوم، الشيوعية التي صارت محلّ نقد بل تندّر الكثير من نخب العالم الثالث المرتبطة بالمركز الغربي؛ وأنا أعتقد أن محاربة الشيوعية تنطوي على بعد لا أخلاقي وهناك مغالطة وتزييف كبير للتاريخ. أنا لست شيوعياً، ولكن هكذا أرى الأشياء.

فلولا ستالين الذي وقعت شيطنته، ما كان لروسيا أن تصير اليوم دولة عظمى، وهذا لا يعني تبرير الأخطاء والإجرام والظلم الذي لحقَ كثيرين؛ فالغبن والعنف مصاحبان للتاريخ. العنف في التاريخ هل هو قدر؟ سؤال فلسفي قديم... ولكن يجب أن نعطي ما للمسيح للمسيح وما لقيصر لقيصر.

أريد أن أكتب عن نساء ورجال كوبا السمر الشبيهين بنا في سحنهم وتآجيجهم وموسيقاهم الجارحة. وأن التقي بهم في أحيائهم الشعبية في شوارعهم وتجمعاتهم.

أريد أن أكتب عن مقاهي هافانا وباراتها الشعبية ذات الألوان الصفراء والحمراء والزرقاء الفاقعة، أكتب عن البوليرو وموسيقى السالسا والسامبا وعن مسارح البالي. عن مآتحها ورساميها وأن التقي شعراءها وأن أذهب إلى دار الأوبرا وأكتب عن عمارتها الباروكية كما تركها الإسبان وكما شاهدت صور تلك العمارة في كتاب صديقي الفوتوغرافي الفرنسي ليونار دي سلفا الذي ذهب قبل سنوات مع إحدى الفرق المسرحية الفرنسية إلى كوبا وأقام أشهراً في هافانا ووصف لي رحلته تلك وإقامته وسط تلك العائلة، لأنك إذا أردت أن تتعرف إلى بلد، فلا بد أن تقيم وسط الأهالي. الفندق يعزلك عن حياة الناس الحقيقية. لليونار كتابان عن منطقة الكاريبي.

أريد أن أكتب عن كوبا برائحة ونكهة تشي غيفارا ورفيقه كاسترو. كاسترو الذي امتدت به الحياة إلى أرذل العمر كما تقول العرب وحافظ على حلمه، لأن من يخون أحلامه ينكسر من الداخل ويسرع إليه الموت البيولوجي. أريد أن أكتب عن كوبا ذات الألوان الحارّة والموسيقى الصاخبة. كوبا سقوف النخيل وحقول التبغ وقصب السكر التي أنشدها نيكولاس غيين.

كوبا الشواطئ البدائية وخليج هافانا حيث لا يزال البيلار قارب همنغواي يبحر لا مرئياً في مياه خليج هافانا وفي خيال قراء «العجوز والبحر».

كوبا البحر الكاريبي الوحشي بحر إيمي سيزير وسان جون بيرس وغارسيا ماركيز.

كوبا ذات الملمح اللاتيني الإسباني الأفريقي المزيج الحريف من ثقافات وأعراق جاء بها القرصان والمغامرون الإسبان والبرتغاليون والإنكليز والهولنديون.

أريد أن أذهب إلى كوبا قبل أن تتحوّل إلى مجتمع استهلاكي وتصير ملحمة الفرد وطقوسه تختزل في الذهاب إلى السوبر ماركت ويتحوّل كوجيتو ديكارت لديه إلى: أنا أستهلك فإذن أنا موجود؛ مكان أنا أفكر إذن فانا موجود.

■■■

ربما لديّ شيء من الحسّ الرومانسي، في الجزائر وفي ركن قاعة الاستقبال في فندق هلتون وتحت نجفة الكريستال التي تشعّ بضوء برتقالي متلامع في زجاج القاعة روى مويكا الكاتب الصحافي الكوبي قصة مجيئه للجزائر أول مرة قبل خمسين سنة ليكون مراسلاً لوكالة الأنباء الكوبية. قال: «كنتُ في الثانية والعشرين عندما قدمني تشي (هكذا يتداولون اسم غيفارا في كوبا) إلى أحمد بن بلّة لأكون مراسلاً صحافياً في الجزائر. وها أنا أعود إلى الجزائر بعد خمسين سنة».

مويكا شبيه في سحنته السمراء ونحافته وابتسامته التي تظهر أسناناً بيضاء مصطفة كأسنان المشط بالفيلسوف الهندي كريشنا مورتي، إلا أنه ليس روحانياً ككريشنا.

في تلك الجلسة، حدثَ مويكا عن حلمي بزيارة هافانا وأن أسير على خطى إرنست همنغواي وأزور دارته الفينكا ويار لافروديتا الذي التقى فيه ولأول مرة هتشنز الشاب الصحافي الذي صار صديقه حتى آخر أيامه التي عاشها بين المشافي والعيادات النفسية، وكيف كانت نهاية همنغواي المأساوية بمرض البارانويا عندما تملكه هاجس الاضطهاد؛ ويردد باستمرار أن البوليس الفيدرالي الأميركي يراقبه للإيقاع به. هكذا روى الكاتب الصحافي الكوبي قصة مجيئه للجزائر أول مرة قبل خمسين سنة ليكون مراسلاً لوكالة الأنباء الكوبية. قال: «كنتُ في الثانية والعشرين عندما قدمني تشي (هكذا يتداولون اسم غيفارا في كوبا) إلى أحمد بن بلّة لأكون مراسلاً صحافياً في الجزائر. وها أنا أعود إلى الجزائر بعد خمسين سنة».

مويكا شبيه في سحنته السمراء ونحافته وابتسامته التي تظهر أسناناً بيضاء مصطفة كأسنان المشط بالفيلسوف الهندي كريشنا مورتي، إلا أنه ليس روحانياً ككريشنا.

في تلك الجلسة، حدثَ مويكا عن حلمي بزيارة هافانا وأن أسير على خطى إرنست همنغواي وأزور دارته الفينكا ويار لافروديتا الذي التقى فيه ولأول مرة هتشنز الشاب الصحافي الذي صار صديقه حتى آخر أيامه التي عاشها بين المشافي والعيادات النفسية، وكيف كانت نهاية همنغواي المأساوية بمرض البارانويا عندما تملكه هاجس الاضطهاد؛ ويردد باستمرار أن البوليس الفيدرالي الأميركي يراقبه للإيقاع به. هكذا روى الكاتب الصحافي الكوبي قصة مجيئه للجزائر أول مرة قبل خمسين سنة ليكون مراسلاً لوكالة الأنباء الكوبية. قال: «كنتُ في الثانية والعشرين عندما قدمني تشي (هكذا يتداولون اسم غيفارا في كوبا) إلى أحمد بن بلّة لأكون مراسلاً صحافياً في الجزائر. وها أنا أعود إلى الجزائر بعد خمسين سنة».

مويكا شبيه في سحنته السمراء ونحافته وابتسامته التي تظهر أسناناً بيضاء مصطفة كأسنان المشط بالفيلسوف الهندي كريشنا مورتي، إلا أنه ليس روحانياً ككريشنا.

في تلك الجلسة، حدثَ مويكا عن حلمي بزيارة هافانا وأن أسير على خطى إرنست همنغواي وأزور دارته الفينكا ويار لافروديتا الذي التقى فيه ولأول مرة هتشنز الشاب الصحافي الذي صار صديقه حتى آخر أيامه التي عاشها بين المشافي والعيادات النفسية، وكيف كانت نهاية همنغواي المأساوية بمرض البارانويا عندما تملكه هاجس

تمثال لـ همنغواي في إحدى حانات هافانا التي كان يتردّد إليها (Getty)

> أريد أن أكتب عن نساء ورجال كوبا السمر الشبيهين بنا
>
> همنغواي لم يكن مصابا بالبارانويا، بل دفعته أميركا إلى الجنون

### اختزال مستمر

عاشت كوبا عقوداً من التقلّبات ولا تزال، من الثورة التي قادها فيدل كاسترو ورفاقه، إلى الاحتجاجات التي هزّتها منذ اسابيع، رغم فتح صفحة المصالحة مع الجارة الاميركية منذ بضع سنوات. في الثقافة العربية، ظلّت الجزيرة مختزلة في ملامح قليلة: مُشاكسة الوحش الامبريالي، شعب من محبّي الموسيقى والرقص، السيجار الذي يشربه تشي غيفارا... مقابل ذلك، لا يصل الكثير مما تنتجه البلاد من ادب وفكر وفنون.

إضاءة

## بديعة بوحريزي مغامرات ما بعد الأغنية البديلة

# موسيقى على مائدة يوغرطة

> هناك أوجه تشابه واضحة بين الموسيقى التي تؤدّيها الفنانة التونسية والموقع الطبيعي الذي اختارت أن تقدّم فيه عرضها القادم بعد ايام قليلة

تونس ـ **ليلى بن صالح**

بشكل شبه كامل، توقّف المشهد الثقافي في تونس منذ أشهر مع سلسلة الإجراءات الوقائية من توسّع الموجات الجديدة من فيروس كورونا. لكن هذا الواقع قد ألهم بعض التظاهرات عدداً من الأفكار الابتكارية التي لا تتصادم مع جهود مواجهة الأزمة الصحية، من ذلك أن مهرجان «سيكا جاز» قرّر أن تقام عروضه هذا العام في عدد من المواقع الأثرية والطبيعية بالقرب من مدينة الكاف (شمال شرقيّ تونس) حيث يقام عادة.

هكذا تحوّل غياب الجمهور إلى قادح ذهني للبحث عن تنويعات تنظيمية حيث تتيح هذه الفكرة بناء مشهدية مختلفة ترافق العروض الموسيقية، فضلاً عن التعريف بالمواقع الأثرية والطبيعية، علماً أن فعاليات المهرجان الذي افتتح أوّل أمس ويتواصل حتى 13 من الشهر الجاري تبثّ جميعها عبر منصّات التواصل الاجتماعي.

من بين العروض المقدّمة حفل الفنانة بديعة بوحريزي في «مائدة يوغرطة» يوم 13 أيلول/ سبتمبر الجاري. وتبدو المحاولات الإبداعية التي تقدّمها بوحريزي منذ أكثر من عشر سنوات متسقاوة مع خيار هذا الفضاء الطبيعي، وهو نجد جبليّ، عبارة عن صخرة مستوية القمة - ومن هنا تسمية المائدة - وبيضاوية الشكل، يبلغ ارتفاعها قرابة 1200 متر بمساحة 80 هكتاراً.

يعتبر هذا المعلم من منسيات المشهد البصري التونسي، حيث إنه لا يأتي بالقرب من المسارات السياحية المكرّسة في تونس، التي لا تبتعد عن الشواطئ والمدن الكبرى أكثر من بضعة كيلومترات. كذلك إن السياسات الثقافية الرسمية تدعم المواقع الأثرية مثل قرطاج والجم والقيروان وسيدي بوسعيد على حساب المخزون الطبيعي، وقلّما يوضع هذا الأخير في الإطار الثقافي أصلاً.

تشبه موسيقى بديعة بوحريزي «مائدة يوغرطة» في أكثر من وجه، بداية بالمسافة التي تفصلها عن المسالك المعبّدة للثقافة الرسمية، وصولاً إلى خياراتها الفنية التي تبحث عن تفرّد قائم على التجريب الموسيقي من جهة، والبقاء بالقرب من قضايا الناس وهمومهم. تصنّف الأغاني التي تؤدّيها عادة ضمن نمط «الأغنية البديلة»، لكنّ بوحريزي تتجاوز بعملها هذه التصنيفات، حتى إن البعض يتحدّث معها عن أفق إبداعي جديد... ما بعد الأغنية البديلة.

صحيح أن اسم بديعة بوحريزي قد لمع بعد «ثورة 2011» في تونس، لكن بداياتها سبقت ذلك، وهي فترة أتاحت لها الوصول إلى لحظة الزخم الثوري بكثير من النضج الأدائي، وهو ما جعلها تصنّف ضمن «أيقونات ثورة الكرامة» مع فنانين ومدوّنين وناشطين مثل لينا بن مهني ونادية خياري.

حضور بديعة بوحريزي فوق «مائدة يوغرطة» يعبّر أيضاً عن روح المغامرة التي تتسم بها أعمالها، في خلطتها المتقنة بين الأثر الغربي والجذور العربية، وفي البحث عن أدوات فنية جديدة للتعبير عمّا في نفوس الناس من توق إلى الحرية والكرامة والعدالة. لنتخيّل أغانٍ لها مثل: «بلادي»، و«خلف قمم الجبال»، و«إلى سلمى»، و«صبح»، من ذلك المكان الشاهق... مائدة يوغرطة.

> بحث عن أدوات فنية جديدة للتعبير عمّا في نفوس الناس من توق إلى الحرية

من حفل لبديعة بوحريزي في 2019



وقفة مع

## أبو طالب محمد

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه

الخرطوم ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

**أشتغل الآن على كتاب بعنوان «سرديات عربية معاصرة: الثابت والمتغير في سلطة النص الروائي»، وهو يدرس ثلاثين رواية عربية معاصرة أسست لشكل روائي جديد منفتح على قضايا العرب الراهنة.**

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

**صدر لي كتاب «القومية والمسرح في السودان»، وأركز خلاله على الدور الوطني المناهض للمستعمر من زوايا مسرحية، وهو قضية شغلت العديد من الكتّاب والأدباء والسياسيين السودانيين منذ ظهور الحركات الوطنية ذات التوجّه الوحدوي مطلع القرن الماضي وحتى الأربعينيات، وخلال هذه الفترة الزمنية تكوّنت بذور الفكر القومي، وبرزت العديد من الحركات الوطنية والجماعات الأدبية، وانفتح فيها المسرح السوداني على متون التراث مستهدفاً تقوية سواعده، إضافة إلى ارتباطه الوثيق بالنشاط السياسي المناهض للاستعمار على الصعيد السوسيوثقافي.**

**كما صدر لي كتاب «سوسيولوجيا الرواية الأفريقية»، الذي يضيء السرد المعاصر والحديث في القارة السمراء، وكيفية استفادته من الأدب الشفاهي في معالجة قضايا اجتماعية تختص بأفريقيا جنوب الصحراء، كما يهتمّ بدراسة الرواية الأفريقية منذ النشأة مروراً بفترات الاستعمار وانتهاءً بدورها في شحذ حركات التحرّر الوطني على امتداد القارة، ويعتني بدراسة وإثبات مفهوم الأدب الأفريقي وحدوده الجغرافية وتعريفاته.**

■ هل أنت راض عن إنتاجك ولماذا؟

**راض عن إنتاجي، لأني أعتقد أنه يخدم الحقل النقدي السوداني والعربي.**

■ لو قيض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

**سأختار دراسة الفلسفة.**

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

**أتمنى أن يسود هدوء عام في العالم، وتندمل جراحات الحروب حتى تتوطد أواصر العلاقات الثقافية.**

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

**الناقد والباحث السوداني الراحل عبد الله الطيب (1921 – 2003)، الذي ترك آثاراً مهمة في اللغة والترجمة والشعر والرواية، ووضع دراسات معمّقة في الشعر العربي. أطمح في توجيه بعض الأسئلة التي تتعلّق بغزارة إنتاجه في مجال المعرفة.**

■ صديق يخطر على بالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

**الناقد والباحث السوداني علي محمد سعيد، الذي يهتمّ في مؤلّفاته بدراسة خطاب المسرح، وأمسي النفس بقراءة كتاب «شذرات من وهوامش على سيرة ذاتية»، وهي مذكرات الدبلوماسي والكاتب السوداني منصور خالد (1931 – 2020)، الذي ألّف العديد من الكتب حول أدب التصوّف السوداني، وصورة جنوب السودان في المخيلة العربية، وواقع النخبة السودانية.**

> راض عن إنتاجي لأنه يخدم الحقل النقدي السوداني والعربي

**بطاقة**

أبو طالب محمد، ولد في ولاية الجزيرة عام 1984م، وتخرّج من قسم النقد في كلية الموسيقى والدراما بـ«جامعة السودان»، وهو يكمل دراساته العليا حالياً في «معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية/ قسم الفولكلور» التابع لـ«جامعة الخرطوم». صدرت له العديد من الدراسات النقدية؛ من بينها: «أنماط السرد في الرواية الأفريقية» (2017)، و«حفريات نقدية» (2018)، و«القومية والمسرح في السودان» (2021)، و«سوسيولوجيا الرواية الأفريقية» (2021).

■ ماذا تقرأ الآن؟

**كتاب «ذكرياتي.. من أوراق قاض سابق» لمؤلّفه القاضي السابق حمزة محمد نور، الذي يستعرض مرحلة مهمّة من تاريخ السودان المعاصر، ويحلّل الواقع الاجتماعي والتنوّع الثقافي والديموغرافي في البلاد بما يقدّمه من اطلاع موسّع وبحث معمّق في تدوين العادات والتقاليد والأعراف في أكثر من مؤلّف، مستفيداً أيضاً من تنقّله في مناطق مختلفة من البلاد بحكم عمله في القضاء.**

■ ماذا تسمع الآن وهل تقترح علينا تجربة غنائية أو موسيقية يمكننا أن نشاركك سماعها؟

**أستمع الآن إلى الفنان السوداني محمد وردي (1932 – 2012)، وأتمنى أن تشاركوني الاستماع إليه.**

أبو طالب محمد

فعاليات

من 13 وحتى 17 سبتمبر/ أيلول الجاري، يقام **مهرجان أيام القاهرة الدولي للمونودراما** في دورته الرابعة التي ستكون تونس ضيف شرفها، من ذلك تكريم المخرجة التونسية الراحلة **رجاء بن عمّار** (1950 - 2017، الصورة)، باعتبارها من روّاد المونودراما النسائية العربية ضمن مشروعها «مسرح فو» الذي اطلقته في 1980.

تنظّم **جمعيّة الدراسات الفكريّة والاجتماعيّة - فواصل** يوم السبت المقبل، 11 أيلول/ سبتمبر الجاري، لقاء حواريًّا عن بعد مع الباحث والكاتب التونسي **شكري المبخوت** حول كتابه الأخير **التكفير في الجامعة التونسيّة**، وهو الجزء الثالث من مشروع بدأه المبخوت في 2018 بكتابة «تاريخ التكفير في تونس». يقدّم الكتاب ويدير النقاش الباحث التونسي نادر الحمامي.

يختتم غداً عرض 15 لوحة للفنان التشكيلي اللبناني **روّوف رفاعي** (1954)، على موقع **ArtScoops**، والذي يروّج للأعمال بغاية توظيف عائداتها لصالح مشاريع خيرية. يقدّم رفاعي في الغالب لوحات لوجوه تعكس سخريته من أنماط اجتماعية متعدّدة، وكثيراً ما يضيف لطخات عليها تخفي تفاصيل ملامحها.

في العاشر من الشهر الجاري، تقام في **معهد العالم العربي** في باريس تظاهرة **سهرة لتحية لبنان**، يشارك فيها فنانون وشخصيات رسمية من لبنان وفرنسا، يقدّمون واقع لبنان اليوم مقارنة بالبعد الثقافي الذي كان يلعبه البلد في منتصف القرن العشرين قبل ان تمر البلاد بسلسلة هزّات آخرها انفجار المرفأ في 2020.